## عنوان البحث:

# هدايات آيات النظر إلى الكون وأثره في الرقي العلمي والفكري

**اسم الباحث/ـة**

**د/ سانا عبد العزيز**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

**أما بعد**

فهذا بحث بعنوان: **(هدايات آيات النظر إلى الكون وأثره في الرقي العلمي والفكري)** تجشمت عناء البحث فيه تلبية لدعوة مؤتمر الهدايات القرآنية (هدايات القرآن في بناء الإنسان)، وقسمته إلى مبحثين، فعرضت في المبحث الأول آيات قرآنية تدعو إلى النظر مع الحرص على بيان معانيها، وأساليبها في التوجيه والحث على النظر إلى الكون. وفي المبحث الثاني تناولت فيه هدايات تلك الآيات المعروضة، وركزت في ذلك على ما يتعلق بهدايات الدعوة إلى النظر في الكون مشيرا أحيانا إلى آثارها في التطوير العلمي والفكري، وكتبتُ مقدمة للبحث تبيّن خطواته، وختمته بخاتمة لخصت فيها أهم نتائج هدايات الآيات مركزا على بيان أثرها في الرقي العلمي والفكري.

**والجدير بالذكر** أن النصوص القرآنية الداعية إلى النظر والتفكر كثيرة لا يمكن حصرها استقراء في مثل هذا البحث، لذلك اخترت آيات تتعلق بلفظ (النظر) فقط علما أن هناك ألفاظا أخرى في هذا السياق والمعنى، كما أن هناك أساليب أخرى تدعو إلى النظر لا يشملها البحث، وحتى في عرض الآيات التي تحمل لفظ النظر قمت باختيار انتقائي منها للدراسة لكثرتها، وركزت على اختيار آيات في مجالات متنوعة، فاخترت آيات حول السير للنظر، وآيات تدعو إلى النظر إلى السماء والأرض، وآيات تدعو إلى النظر إلى خلق الإنسان وآيات تتعلق بالنظر إلى النبات وآيات توجّه إلى النظر إلى الحيوان وخلقه وهكذا. وعكفت عليها مستخرجا بعض هداياتها في المبحث الثاني، فما أكثرها!!. وتجدر الإشارة إلى أن للفظ النظر في القرآن معانيَ عديدةً، ولما كان قصدي في هذا البحث دراسة الآيات المتعلقة بالنظر من جهة معنى التفكر والتدبر والتأمل والاعتبار، حصرتُ اختياري على آيات يرد فيها لفظ النظر وبعض مشتقاتها بمعنى النظر الفكري والاعتبار، حيث إن هذا المعنى أشمل من معاني الألفاظ الأخرى، لأنه يربط النظر الحسي بالنظر المعنوي الفكري، إذ ينطلق الناظر من المحسوسات الكونية إلى تدبر مآلاتها الفكرية والمعرفية. ولم يفتني أن أنبه أن القرآن كتاب هداية وتوحيد وأن دعوته إيانا إلى النظر إنما أساسه هو الاعتبار بالكون والاستدلال به وبكل ما فيه على وجود الخالق العزيز وبيان قدرته على البعث والحساب.

## المبحث الأول: عرض آيات داعية إلى النظر إلى الكون، وبيان معانيها، وأساليبها.

### ١. آيات داعية إلى السير في الأرض والنظر في آثار الأمم وعواقبها

**الآية الأولى .قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٩ – ٥٠ .

**ويسمونكم:** يُذيقون العذاب الشديد، ويستحيون نساءكم أي: يستبقونهن، وقوله: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي وَفِي ذَلِكُمْ الْعَذَاب أَوْ الْإِنْجَاء وبَلَاء: أي ابْتِلَاء أَوْ إنْعَام، وقوله: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (١)، وإذ إذْ فَرَقْنَا: أي فَلَقْنَا بِكُمْ بِسَبَبِكُمْ الْبَحْر حَتَّى دَخَلْتُمُوهُ هَارِبِينَ مِنْ عَدُوِّكُمْ فَأَنْجَيْنَاكُمْ مِنَ الْغَرَق وَأَغْرَقْنَا آل فِرْعَوْن أي قَوْمه مَعَهُ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إلَى انْطِبَاق الْبَحْر عَلَيْهِمْ(٢) أي: ترون وتتأملون. وجاءت الدعوة إلى النظر في هذه الآية في أسلوب خبري حالي وهي الجملة الاسمية الحالية(٣) (وأنتم تنظرون) ما يدل أن مشاهدتهم لحال إغراق فرعون وآله، وتتأملوها بالعين والقلب والعقل، وورد الإخبار عن النظر بجملة فعلية (تنظرون) لبيان حيوية مشاهدتهم فناسبت العبارة المقصود. وأخبر الله سبحانه وتعالى إغراقهم بأسلوب التكلم الجمعي (وأغرقنا) للدلالة على عظمته وقدرته وسلطته وأخذه القوي لكل متكبر كذاب.

**الآية الثانية: قوله تعالى** ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٧.

**وسنن:** الطريقة المستقيمة والمثال المتبع، أو الشرائع، وقيل السنن: الأمم فالسنة: الأمة ومعنى الآية: "ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لإهلاكهم"(٤)، فانظروا: أي نظر تأمل. وجاءت الدعوة إلى النظر بأسلوب الإنشاء الأمري، ويفيد معنى الإرشاد والتوجيه إلى النظر التأملي في حالة نهاية المكذبين، واتصل الأمر بالنظر بالأمر بالسير في الأرض، والرابط بينهما لغويا الفاء الفصيحة وهي التي تقع جوابا لشرط مقدر لأن المعنى مترتب عليه، أي إذا شككتم فسيروا في الأرض لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم(٥)، وهذا يدل على أهمية الاقتران بين السياحة العلمية والتأمل والتفكر فيما شاهدنا وعايننا تأملاً علمياً، قال ابن عاشور "وإنَّما أمر الله بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب لأنّ في المخاطبين مَن

(١) تفسير الجلالين، ص: ١١.

(٢) المصدر السابق، ص: ١١.

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ج١ ص: ١٠١

(٤) تفسير الخازن، ج١ ن ص:٣٠٠.

(٥) إعراب القرآن، وبيانه: محيي الدين درويش، ج:٢، ص:٥٨.

كانوا أمّيين ، ولأنّ المشاهدة تفيد من لم يقرأ علماً وتقوّي عِلْم من قرأ التّاريخ أو قصّ عليه"[١]، والاستفهام في الآية وأمثالها يفيد التنبيه والدعوة إلى التفكير والنظر والتفريع في الوقت نفسه.

**الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ الأنعام: ٩ -١١

**(وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)** أي: خلطنا عليهم ما يخلطون وشبّهنا عليهم فلا يدرون أملك هو أم آدمي[٢]. ومعنى: (فحاق): فنزل عليهم العذاب جزاء استهزائهم أو حل بهم أو أحاط بهم[٣]، (سِيرُوا فِي الأَرْضِ) معتبرين، يحتمل هذا: السير بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام[٤].قال ابن كثير: "قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أَيْ فَكِّرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَانْظُرُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَعَانَدُوهُمْ، مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا ادُّخِرَ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فِي الْآخِرَةِ، وَكَيْفَ نُجِّيَ رُسُلُهُ"[٥] وعباده المؤمنين.

**وجاءت الدعوة في الآية** في أسلوب الإنشاء وذلك بأسلوب الأمر: (انظروا) إرشادا وتوجيها مقترنا بأسلوبي أمر آخريْن سابقين (قل، سيروا)، وواضح أن (قل) موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن الأمر من الله عز وجل بواسطة رسوله الأمين، وأما الأمر بالسير فكان بضمير الجمع، أي الأمر موجه إلى صحابة الرسول صلى الله وسلم وجميع أمته من بعده فليس مفهوم الأمر هنا مقيدا بأفراد وزمان دون غيرهم غير أن المشركين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم هم المقصودون المباشرون.

والرابط بين الأمر بالسير في الأرض والدعوة إلى النظر الناتج عن السير حرف العطف (ثم) وهو يفيد التراخي قال ابن عاشور: "وثم للتراخي الرتبي، كما هو شأنها في عطف الجمل، فإنّ النظر في عاقبة المكذّبين هو المقصد من السير، فهو ممّا يُرتقى إليه بعد الأمر بالسير، ولأنّ هذا النظر محتاج إلى تأمّل وترسّم فهو أهمّ من السير"[٦].

**وفرّق الزمخشريُّ** بين الربط بالفاء والربط بـ(ثم) فقال:"فإن قلت: أى فرق بين قوله ﴿فَانْظُرُوا﴾ وبين قوله ﴿ثُمَّ انْظُرُوا﴾ قلت: جُعل النظر مسبباً عن السير في قوله: ﴿فَانْظُرُوا﴾ فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين. وأما قوله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا﴾ فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبه على ذلك بثم،

(١) التحرير والتنوير، ج:٤، ص: ٩٧.
(٢) تفسير البغوي: ج٣، ص: ١٢٣.
(٣) المصدر السابق، ج٣، ص: ١٢٣.
(٤) المصدر السابق: ج٣، ص: ١٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير ج:٣، ص:٢١٧
(٦) التحرير والتنوير، ج:٧، ص: ١٤٧.

لتباعد ما بين الواجب والمباح"[1].

**الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ يوسف: ١٠٩.

وقوله: إلا رجالا، نوحي: أي رجالا من أهل القرى: لا ملائكة يعني: من أهل الأمصار دون البوادي، لأن أهل الأمصار أعقل وأفضل وأعلم وأحلم[2].والمراد من هذه الآية: "وصف الكافرين المشركين بالغفلة والإعراض عن أمر الآخرة، ثم توبيخهم على أنهم قد فكّروا تفكيرا مغلوطا أو خطأ، فلم ينفعهم الفكر والنظر، لأنه لم يكن على سداد وصواب"[3]. ونلاحظ أن الدعوة إلى النظر هنا كانت بالفعل المضارع المسند إلى ضمير الجمع، والاستفهام وهو هنا إنكاري فإن مجموع المتحدّث عنهم ساروا في الأرض فرأوا عاقبة المكذبين مثل عاد وثمود وهذا التفريع اعتراض بالوعيد والتهديد[4]، وجعل النظر نتيجة السير أي السير من أجل النظر كما سبق بيان ذلك.

**فكان الربط بين السير والنظر** بالفاء الفصيحة، واختمت الآية بالتأكيد على أفضلية الدار الآخرة والإشارة بعدم تعقل المشركين بأسلوب الاستفهام الذي يتضمن الإنكار والحث على التفكر في آن واحد، كما أن في الآية اجتماع الدعوة إلى النظر والتعقل فالأول مادي معنوي شامل يشمل التأمل في الماديات ثم المرور إلى المعنويات للوصول إلى الإيمان والثاني مقصور على استخدام العقل منطقيا للمقارنة بين خيري الدنيا والآخرة!.

**الآية الخامسة: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾ يونس:

**والفُلْكُ:** بالضم السفينة تذكر وتؤنث وتقع على الواحد والاثنين والجمع[5]، "وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ يخلفون الهالكين بالغرق، وقوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله، وتسلية له"[6]. والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف[7]، و"بعد أن ذكر سبحانه عناد المشركين لرسوله صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم له

(١) الكشاف، ج٢، ص: ٨.

(٢) تفسير البغوي، ج٤، ص: ٢٨٥

(٣) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ج٣، ص:١٩٨٦.

(٤) والتنوير، ج١٣، ص:٦٨.

(٥) لسان العرب، مادة فلك.

(٦) الكشاف، ج٢، ص: ٣٤٣.

(٧) مفردات غريب القرآن، الأصفهاني. ص: ١٥٦.

بعد أن قامت البراهين على صدقه قفى على ذلك بذكر أقوام الرسل قبله تسلية له صلى الله عليه وسلم وبياناً بأن قومه لم يكونوا بدعا في عنادهم وتكذيبهم له بل سبقهم في مثل فعلهم كثير من سالفي الأمم، وكانت العاقبة فوز الرسل عليهم، وأتم الله لهم النصر، فلعل أولئك القوم يتدبرون حالهم فينزجروا بما فيه مزدجر لهم ويعترفوا بصدقه صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به قبل أن تفوت الفرصة السانحة فيندمون، ولات ساعة مندم"(١). وكانت الدعوة إلى النظر في هذه الآية بأسلوب الأمر المفرد (فانظر) بعكس الآيات السابقة؛ لأن القصد هنا تسلية الرسول صلى الله عليه، وكان العطف بالفاء المفيدة لمعنى السببية والتأمل، وصيغت آيات التعذيب والعقاب بأسلوب التكلم الجمعي الدال على عظمة الخالق الفاعل وقدرته في أخذ المكذبين.

**الآية السادسة:قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ النحل: ٣٦.

**والطاغوت:** عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله ويستعمل في الواحد والجمع، وهو على وزن فعلوت نحو جبروت وملكوت، وقيل أصله طغووت ولكن قلب لام الفعل نحو صاعقة وصاقعة ثم قلب الواو ألفا لتحركه وانفتاح ما قبله(٢)، وقيل أصله من الطغيان، والجمع الطواغيت، وقوله:
﴿مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾: أي لزمته لاختياره إياها(٣) .
والمعنى: "ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً كما بعثناك في هؤلاء بأن اعبدوا الله واجتنبوا الشيطان وكلَّ من يدعو إلى الضلاَّلة فمنه أرشده الله ومنهم مَنْ وجبت الكفر بالقضاء السابق فسيروا في الأرض معتبرين بآثار الأمم المكذِّبة ثمَّ أكَّد أنَّ مَنْ حقَّت عليه الضَّلالة لا يهتدي"(٤).

**وفي هذه الآية** وجدنا أن الدعوة إلى النظر كانت أيضا بأسلوب الأمر الجمعي (انظروا) ورُبط بين السير والنظر بالفاء كما سبق، واختمت الآية بالاستفهام الاعتباري، ودلت الآية أن من أسباب تحقق الضلالة على المكذبين عدم اجتنابهم الطاغوت.

**الآية السابعة: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ العنكبوت: ١٩ - ٢٠

(١) تفسير المراغي، ج:١١، ص:١٣٦
(٢) مفردات غريب القرآن، ص:٣٠٥.
(٣) تفسير النسفي، ج:٢، ص:٢١٢.
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص:٦٠٦

**قال الشوكاني:** "والمعنَى: أَلَم يرَوا كَيْفَ يَخْلقهم اللَّهُ ابْتِدَاءً؟ نُطفةً، ثُمّ عَلقة، ثُمَّ مُضغَة، ثُمَّ يَنفخُ فِيهِ الرُّوحَ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ إِلَى الدُّنْيَا، ثُمّ يَتوفّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ سائِرُ الْحَيوَانَاتِ، وَسَائِرُ النَّبَاتَاتِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ قُدْرَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَالْإِيجَادِ، فَهوَ القَادِرُ عَلَى الإِعَادَةِ، وَالْهَمْزَةُ لِإِنْكَارِ عَدَمِ رُؤيَتِهِم،... ثُمَّ أَمَرَ سُبحَانَهُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَأمرَ قَومَهُ بِالْمَسِيرِ فِي الْأَرضِ لِيَتفكرُوا وَيَعْتَبِرُوا فَقالَ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ على كَثرَتِهم، وَاختِلَافِ أَلوانِهِم، وَطَبَائِعِهِمْ، وَأَلسنَتِهِم، وَانْظروا إِلَى مَسَاكِنِ الْقرُونِ الْمَاضِيَةِ، وَالْأُمَمِ الْخَالِيةِ، وَآثَارِهِم لِتَعْلَمُوا بِذَلِكَ كَمَالَ قُدرَةِ اللَّهِ.

**وقِيلَ:** إِنَّ المعنَى: قُل لَهُم يَا مُحمدُ: سِيرُوا، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ﴾أن اللَّهَ الَّذِي بَدأَ النّشأةَ الأُولَى، وَخَلقهَا عَلَى تِلكَ الْكَيفِيّةِ يُنْشِئُهَا نَشأَةً ثَانِيةً عِندَ الْبَعثِ[1].

وواضح أن الآية ذكرت الرؤية والنظر معاً، وفي ذلك دعوة مؤكدة إلى النظر والتفكر، حيث جاءت الدعوة إلى الرؤية بأسلوب استفهام إنكاري توبيخي إشارة إلى تعطيل المشركين لحاسة الرؤية المؤدية إلى التأمل، وجاءت الدعوة إلى النظر في أسلوب الأمر (انظروا) بعد الأمر بالسير (سيروا) توجيهاً وإرشاداً لأمة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السير الهادف في الأرض لمعرفة قدرة الله في الخلق، ولم يزل الأمر بالسير للنظر في الآية مرتبطا بأمر رباني بوساطة الرسول صلى الله حيث اعتمدت آية الدعوة إلى النظر على قوله (قل)، تأكيدا أن الأمر رباني من الله.

**٢. آيات داعية إلى النظر إلى الكونين (السماء والأرض معاً )**

**الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

الأعراف:( ١٨٣ – ١٨٦)

وقوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سماه كيداً لأنه شبيه بالكيد، من حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان، والمتين وهو القوي الشديد لا يدفع بالقوة ولا حيلة[2]، وقوله: ﴿بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ "ما بِصاحِبِهِمْ بمحمد صلى الله عليه وسلم مِنْ جِنَّةٍ من جنون، وكانوا يقولون شاعر مجنون"[3]

وقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ عطف على سَنَسْتَدْرِجُهُمْ وهو داخل في حكم السين.

---

(١) فتح القدير للشوكاني، ج:٤، ص:٢٢٨.

(٢) السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني ، ص: ٥٦.

(٣) الكشاف، ج٢، ص:١٨٢

**والملكوت**: الملك العظيم. والنذِير اسمُ الإنذار[1]وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ يعني نظر استدلال ما خَلَقَ اللَّهُ عطف على الملكوت، ويعني بقوله من شيء: جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها[2] وقوله:﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ﴾يعني: موتهم، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب"[3]ويعمهون: يتحيرون[4]، لا يدرون أن يتجهون وأين يلجؤون. وعبارة الدعوة إلى النظر في الآية مبنية على الاستفهام الإنكاري التوبيخي وصُرّف الفعل في حالة المضارع المسبوق بلم، فأفاد عدم قيام المشركين بالنظر التأملي، وأفاد في الوقت نفسه أن يعتبر المسلمون بحال المشركين فيقوموا بالنظر والتفكر في ملكوت الله، ويخالفهم ولا يتبعوا سبيل المشركين والمكذبين، واجتماع طلب التفكر والنظر في الآية مما يؤكد على أهمية الدعوة إلى النظر.

**الآية الثانية: قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ يونس: ١٠١

**قال صاحب المحرر الوجيز**: "هذه الآية أمر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع وغير ذلك من آيات السماوات، وأفلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك، والأرض ونباتها ومعادنها وغير ذلك، المعنى: انظروا في ذلك بالواجب فهو ينهاكم إلى المعرفة بالله والإيمان بوحدانيته، .. ثم أعلم في آخر الآية أن النظر في الآيات والسماع من النذر: وهم الأنبياء لا يغني إلا بمشيئة الله، وأن ذلك غير نافع لقوم قد قضى الله أنهم لا يؤمنون، ..وفي الآية على هذا توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين"[5].

**ودعت الآية** إلى النظر إلى ما في السماء والأرض بأسلوب الأمر (انظروا) واستندت الدعوة إلى أمر الله عز وجل رسولَه صلى الله عليه بالتليغ عن ربه بعبارة (قل) فانجلت بذلك أهمية التوجيه والإرشاد الرباني إلى التدبر في خلق الله وكونه للوصول إلى الإيمان والهداية.

**الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ الحجر: ١٦ – ١٧

---

(١) لسان العرب مادة نذر.

(٢) الكشاف، ج٢، ص: ١٨٢

(٣) تفسير الخازن ج١، ص: ٣١٤.

(٤) السراج، ص: ٥٦.

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج٣، ص:١٤٥.

**و(بروجاً)**منازل للكواكب تنزل فيها ورجيم: مطرود من رحمة الله[1].

**وقال ابن عجيبة:** "يقول الحق جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر برجاً، وهي: الحَمَل، والثور، والجَوْزاء، والسرطان، والأسد والسُّنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدْي، والدلو، والحوت، والبرج عبارة عن قطعة في الفلك تقطعها الشمس في شهر؛ فتقطع البروج كلها في سنة، ستة يمانية، وستة شمالية، وهي مختلفة الهيئات والخواص، على ما دل عليه الرصد والتجربة. كل ذلك بقدرة المدبر الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالأشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين؛ ليستدلوا بها على قدرة مبدعها، وتوحيد صانعها، ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: مرجوم، فلا يقدر أن يصعد إليها ليسترق السمع منها، أو يوسوس أهلها، أو يتصرف في أمرها، أو يطلع على أحوالها"[2].

وجاء التعبير عن النظر الإمتاعي والتأملي لزينة السماء بصيغة اسم الفاعل الجمعي (للناظرين) قال محمد طنطاوي:"وزينا السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والأضواء، لتكون جميلة في عيون الناظرين إليها، وآية للمتفكرين في دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه"[3].

**الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ الروم: ٨ - ٩

**والمعنى**: أي أولم يفكروا في أمر أنفسهم بأن يجيلوا فيه الفكر، فيقولوا: إن الله لم يخلق الكون من السماء والأرض وما فيهما من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات الكثيرة المتنوعة والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى، بل كان خلقها مقرونا بالحق، مصحوبا بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه أولم يتنقل هؤلاء المنكرون للنبوات، المكذبون بالآخرة في بلاد الأرض، فينظروا بعقولهم وأفهامهم، ويبحثوا في آثار الله، ويسمعوا أخبار الماضين ويتأملوا بمصير المكذبين رسلهم من الأمم الماضية، علماً بأنهم كانوا أشدّ قوة من أهل مكة وأمثالهم، وأكثر أموالا وأولادا، وحرثوا الأرض وقلبوها للزراعة والغرس أكثر مما فعل المكيون وسائر العرب لقحط بلادهم، واستغلوا الأرض أكثر من استغلال هؤلاء[4].

---

(١) تفسير السراج المنير محمد بن أحمد الشربيني، ص: ٩٢.

(٢) البحر المديد تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ج:٣، ص:٥٤٤

(٣) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ج:٨، ص: ٢٨.

(٤) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج:٢١، ص:٥٢. بتصرف

وفي الآية الداعية إلى النظر وإلى التفكر والسير للنظر استفهام إنكاري توبيخي، وفي ذلك حث على الاستعمال العقل الباطني واستخدام حاسة العين لنقل ما يثير العقل ويدفعه إلى التأمل والتفحص.

**٣. آيات داعية إلى النظر إلى النبات:**

**الآية الأولى: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩ ﴾ الأنعام: ٩٩

**وذكر عموم ما ينبت بالماء،** من أنواع الأشجار والنبات، ذكر الزرع والنخل، لكثرة نفعهما وكونهما قوتا لأكثر الناس فقال: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ﴾ أي: من ذلك النبات الخضر، حَبًّا مُتَرَاكِبًا بعضه فوق بعض، من بر، وشعير، وذرة، وأرز. وفي وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة واحدة، وهي لا تختلط، مجتمعة الأصول، وإشارة أيضا إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار. وَمِنَ النَّخلِ أخرج الله (مِنْ طَلْعِهَا) وهو الكفرى، والوعاء قبل ظهور القنو منه، فيخرج من ذلك الوعاء قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ أي: قريبة سهلة التناول، بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت، فإنه يوجد فيها كرب ومراقي، يسهل صعودها[1]، وأخرج سبحانه وتعالى بالماء جنات مِنْ أَعنَابٍ وَالزَّيتُونَ وَالرُّمّانَ فهذه من هذه الأشجار كثيرة النفع، عظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار والنوابت. وقوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبها في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره. ويحتمل أن يرجع ذلك، إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه بعضه بعضا، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به، وقال: انْظُرُوا أي نظر فكر واعتبار ثماره أي: الأشجار كلها، خصوصا: النخل إذا أثمر وقوله (وَيَنْعِهِ) أي: انظروا إليه، وقت اطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبرا وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده[2]. وجاءت الدعوة إلى النظر بعد ذكر أنواع النبات والزرع والشجر في خاتمة الآيات ولفتت النظر إلى أن المذكورات دليل على الإيمان وإليه عند المؤمنين. ودعت الآية إلى التركيز في بداية الثمر كيف يكون وما تحول إليه في نهايته بأسلوب فعل الأمر الجمعي (انظروا) وهو أصل أساليب الأمر والنصح والتوجيه والإرشاد، إذ يفيد صدور الأمر من الآمر إلى المأمور مباشرة، وقال الشيخ وهبة الزحيلي: "والمراد: انظروا أيها المخاطبون نظر اعتبار إلى ثمره إذا أثمر (أول ما يبدو) كيف هو، وإلى نضجه إذا أدرك كيف يصبح إِنَّ فِي ذٰلِكُمْ لَآياتٍ دلالات

(١) تفسير السعدي ص: ٢٦٧. بتصرف،

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٦٧. بتصرف،

على قدرته تعالى على البعث وغيره لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين"[1]فإنهم لم يأتمروا بالأمر ولم ينتفعوا.

**الآية الثانية: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ عبس: ٢٤ – ٣٣

**أي:** أنزلنا المطر على الأرض بكثرة. ثُمَّ شَققنَا الأَرْضَ للنبات شقّا فَأَنبتنَا فِيهَا أصنافا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية مثل الحب وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، والعنب والقضب وهو القت، والزيتون والنخل وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها. والحدائق الغلب أي: هي البساتين التي فيها الأشجار الكثيرة الملتفة، أما الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير ذلك، والأب: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره[2] والفاء مع كونها للتفريع "تفيد معنى الفصيحة، إذ التقدير: إن أراد أن يقضي ما أمره فلينظر إلى طعامه أو إن أراد نقض كفره فلينظر إلى طعامه...وتعدية فعل النظر هنا بحرف إلى تدل على أنه من نظر العين إشارة إلى أن العبرة تحصل بمجرد النظر في أطواره. والمقصود التدبر فيما يشاهده الإنسان من أحوال طعامه بالاستدلال بها على إيجاد الموجودات من الأرض. وجُعل المنظور إليه ذاتَ الطعام مع أن المراد النظر إلى أسباب تكونه وأحوال تطوره إلى حالة انتفاع الإنسان به وانتفاع أنعام الناس به، وذلك من أسلوب إناطة الأحكام بأسماء الذوات"[3]، وأسلوب الدعوة إلى النظر في الآية مصوغ على صيغة المضارع المقرون بلام الأمر وهو من أساليب الأمر، وفيه إرشاد وتوجيه وحث على نظر الإنسان إلى ما هو أصل مطعمه، ومآله، والكلام هو مستأنف مسوق للشروع في تعداد النعم المترادفة على الإنسان[4].

**٤. آيات داعية إلى النظر إلى الحيوان والأرض معاً :**

**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ الغاشية: ١٧ – ٢٠

**أي** "أفلا ينظر الكافرون المكذِّبون إلى الإبل: كيف خُلِقَت هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت"[5]؟. والفاء في قوله: (أفلا ينظرون) تفريع التعليل على المعلل لأن فظاعة ذلك

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج:٧، ص:٣١٥.

(٢) تفسير ابن السعدي، ص: ٩١١. بتصرف

(٣) التحرير والتنوير، ج:٣٠، ص: ١٢٩.

(٤) إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج:١٠، ص:٣٨٥.

(٥) التفسير الميسر/ إعداد نخبة من العلماء، ص:٥٩٤

الوعيد تجعل المقام مقام استدلال على أنهم محقوقون بوجوب النظر في دلائل الوحدانية التي هي أصل الاهتداء إلى تصديق ما أخبرهم به القرآن من البعث والجزاء،...والاستفهام إنكار على المشركين لإهمال النظر إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته، والنظر هنا: نظر العين المفيد للاعتبار بدقائق المنظور، ولزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال قُيّد فعل (ينظرون) بالكيفيات المعدودة في قوله: (كيف خلقت) (كيف رفعت) (كيف نصبت) (كيف سطحت) أي: لم ينظروا إلى دقائق هيئات خَلقها، وقد عُدّت أشياءُ أربعة هي من النَّاظرين عن كَثب لا تغيب عن أنظارهم ، وعُطف بعضها على بعض، فكان اشتراكها في مرْآهم جهةً جامعة بينها بالنسبة إليهم ،لأنهم المقصودون بهذا الإنكار والتوبيخ، فالذي حسَّن اقتران الإبل مع السماء والجبال والأرض في الذكر هنا هو أنها تنتظم في نظر جمهور العرب من أهل تهامة والحجاز ونجد وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاع(١).

**٥. آيات داعية إلى النظر في قدرة الله عز وجل على الخلق:**

**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ البقرة: ٢٥٩

**وفحوى هذه** الآية كما ذكر ابن كثير أنها قصة رجل من بني إسرائيل واختلفوا في هذا المارّ من هو؟ فقيل: هو عزير. وذكر غير واحد أنه مات وهو ابن أربعين سنه؛ فبعثه الله وهو كذلك، وكان له ابن فبلغ من السن مائة وعشرين سنة، وبلغ ابن ابنه تسعين وكان الجد شابا وابنه وابن ابنه شيخان كبيران قد بلغا الهرم، وأما القرية: فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها.

﴿وَهِيَ خَاوِيَة﴾ أي: ليس فيها أحد من قولهم: خوت الدار تخوي خواءً وخُويا، وقوله: ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها، فوقف متفكرا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة وقال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها وبُعدها عن العود إلى ما كانت عليه قال الله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَه﴾ وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجعت بنو إسرائيل إليها. فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه؟ فلما استقل سويا قال الله له أي بواسطة الملك: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْم ﴾ وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله في آخر نهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ

(١) التحرير والتنوير، ج:٣٠، ص:٣٠٥

إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ وذلك: أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما فقده لم يتغير منه شيء، لا العصير استحال ولا التين حمض ولا أنتن ولا العنب تعفن.

﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ أي: كيف يحييه الله عز وجل وأنت تنظر ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: دليلا على المعاد (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ أي: نرفعها فتركب بعضها على بعض[1].

**وأسلوب هذه الآية** بليغة فيها القصة والحوار والإقناع العلمي المنطقي والمادي.

ولاحظنا أن الأمر بالنظر تكرر ثلاثة مرة في مواضع مختلفة، ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ﴾ ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ وذلك للأهمية.

٦. **آيات تدعو الإنسان إلى النظر في خلقه:**

**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ الطارق: ٥ ـ ٨

**وقال الشيخ عبد الرحمن بن السعدي** في تفسير الآية: " "أي: فليتدبر خلقته ومبدأه، فإنه مخلوق ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ وهو: المني الذي ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها.

وأن المراد المني الدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبه، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق، والذي يحس به ويشاهد دفقه، هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب فإنها تستعمل في الرجل، فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقال: من بين الصلب والثديين ونحو ذلك، والله أعلم."[2].

**وجاءت الدعوة إلى النظر** بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر، وقد أسند الفعل إلى الضمير الغائب المفرد (فلينظر)، لإفادة العموم، لأن الألف واللام في (الإنسان) للاستغراق الجنسي أي: فلينظر كل إنسان. "والفاء مع كونها للتفريع تفيد معنى الفصيحة، إذ التقدير: فلينظر الإنسان مم خلق أي إن أراد الإنسان الخلاص من تبعات ما يكتبه عليه الحافظ فلينظر مِمَّ خُلق ليهتدي بالنظر فيؤمن فينجو."[3]

---

(١) تفسير ابن كثير، ج:١، ص:٦٨٨. تصرف

(٢) تفسير ابن السعدي، ص: ٩١٩.

(٣) التحرير والتنوير، ج:٣٠، ص:١٢٩.

## المبحث الثاني: هدايات آيات النظر إلى الكون وأثره في الرقي العلمي والفكري

### أولاً: الهدايات الكلية لآيات الدعوة إلى النظر في الكون:

إذا تأملنا في آيات الله الداعية إلى النظر إلى الكون نجد أنها تجمع هدايات وإرشادات ربانية كثيرة ومتنوعة، وقد تنوعت الآيات وتعددت في هذه الدعوة والهدايات المستنبطة لجلية عظيمة، وتشتمل كل آية منها على هدايات عديدة حتى إن الآية منها لتحتوي على عشرات الهدايات ذكرها بعض علماء علوم القرآن والتفسير ولم يزل بعض الآخر يحتاج إلى جهود علمية تأصيلية تطبيقية لاستخراجها.

**وإذا كانت الهدايات** في هذه الموضوع منطوية تحت كل آية من آيات النظر إلى الكون .

**فإن هناك هدايات عامة كلية تشترك فيها هذه الآيات،** وهي التي سميناه بالهدايات الكلية وذكرها العلماء مبثوثة في كتب التفسير وعلوم القرآن.

١. **الإيمان بالله خالق الكون** وكل ما فيه كبيره وصغيره حيه وجماده ما دق ومنه وما ظهر، ونلاحظ أن الدعوة إلى النظر تأتي في سياق الدعوة إلى التوحيد والتمسك به في الغالب الأعم،

**قال صاحب المحرر الوجيز ابن عطية الأندلسي** عند تفسير الآية : **الآية الثانية:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ يونس: ١٠ هذه الآية أمر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع وغير ذلك من آيات السماوات وأفلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك، والأرض ونباتها ومعادنها وغير ذلك، المعنى: انظروا في ذلك بالواجب فهو ينهاكم إلى المعرفة بالله والإيمان بوحدانيته"(١)،

ويؤكد على أن الهداية العامة في الآية هي الدعوة إلى التوحيد وتحذير المشركين في آخرها أن إنذار الرسل لا ينجي من لم يؤمن من عذاب الله.

**وقال صاحب الكشاف** حين بيان معنى قوله تعالى: أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾ الأعر( ١٨٣ – ١٨٦):" أَوَلَمْ يَنْظُرُوا: يعني نظر استدلال ما خَلَقَ اللَّهُ عطف على الملكوت، ويعني بقوله من شيء: جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها"(٢)، وعلى هذا يتأكد **أن** مدار الدعوة إلى النظر إلى الكون هو الوصول إلى الإيمان والتدبر في ملكوت الله لتقوية الإيمان وتثبيته.

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج٣، ص:١٤٥.

(٢) الكشاف، ج٢، ص: ١٨٢.

٢. **تسلية الرسول صلى الله عليه وتثبيته والاعتناء بمكانة المؤمنين:** فإن أغلب الآيات الداعية إلى السير والنظر في عاقبة المكذبين والمجرمين متعلقة بتسلية الرسول، وتثبيت قلبه وإدخال السرور في قلوب المؤمنين أن الله سبحانه وتعالى ويتولى أمرهم، قال السعدي في تفسير الآية الكريمة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ آل عمران: ١٣٧ "وهذه الآيات الكريمات، وما بعدها في قصة أحد يعزي تعالى عباده المؤمنين ويسليهم، ويخبرهم أنه مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، وابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاولة، حتى جعل الله العاقبة للمتقين، والنصر لعباده المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم"(١).

**قال صاحب الكشاف** عند بيان معنى قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ يونس: "وقوله: (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) أي تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله، وتسلية له"(٢)وفي التفسير قال الشيخ وهبة الزحيلي عند بيان معانى الآية الآتية: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ الأنعام: ١٠ - ١١. يقول"وكان يضيق قلب الرّسول بسماع ذلك، فأنزل الله هاتين الآيتين للتّخفيف عما يلاقيه النّبي صلّى الله عليه وسلّم من سوء الأدب والهزء والسّخرية، وإنزال العذاب هو سنّة الله الثابتة في المكذّبين أنبياءهم. فهذه تسلية للنّبي صلّى الله عليه وسلّم في تكذيب من كذّبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدّنيا والآخرة... وهذا إرشاد للنّبي صلّى الله عليه وسلّم ببيان سنّة الله في المكذّبين، وتسلية له حتى لا يضيق قلبه ذرعا، وتبشير له بالنّصر وحسن العاقبة، وقد أهلك الله خمسة من رؤساء قريش في يوم واحد، وهذا ما امتنّ الله به على نبيّه بقوله: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ الحجر: ٩٥"(٣).

وبناء على ما مضى يتضح أن دعوة القرآن إلى النظر في أحوال الكون، وبخاصة في مصير الأمم السابقة المكذبة تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم، وتثبيت قلبه وتقوية المؤمنين وحثهم على الاعتبار والتدبر وأن قوة المنكرين لم تكن مانعة لهم من تدمير الله فكانت عاقبتهم سوء في كل زمان.

٣. **بيان أهمية النظر وضرورة استعماله للوصول إلى اكتشاف طريق الحق ومعرفة المنافع المكنونة في الكون التي تعود على الإنسان،** فالبشر مأمورون بالنظر المادي المؤدي إلى النظر الفكري التأملي للوصول معرفة الله وقدرته وتعطيل نعمة النظر إلى الكون مما سبب تكذيب بعض الأمم السابقة

(١) تفسير ابن السعدي، ص:١٤٩.

(٢) الكشاف، ج٢، ص: ٣٤٣.

(٣) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج:٧، ص:١٥١

وإنكارهم للرسالات، وقد صيغ الخطاب في بعض الآيات الداعية إلى النظر بأسلوب استفهامي إنكاري على من أهمل أخبار الأمم السابقة، وأهل التفكير في ظروف الزمان وصروفه فيهم مما يدل إهمال النظر مذموم.

**وعلق الشيخ وهبة الزحيلي** على الآية الآتية: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ الروم: ٨ – ٩ فقال: "هذا حثّ لهم على إعمال الفكر السليم الموصل إلى معرفة الله ووحدانيته بالنظر في أنفسهم وما حولهم من مشاهد الكون، والمراد أن أسباب العلم الصحيح ومفاتيح الهداية تعتمد على العقل وأنه متوافر لديهم، لكنهم عطلوه ولم يعملوه فيما يجب إعماله"(١)، فإهمال إعمال العقل وتعطيله يقطع المرء عن صلة الطريق المؤدي إلى الله بالتأمل في الكون المليء من العجائب الدالة على وجود الخالق الواحد القهار.

**وقد لخص الإمام الرازي** هذه المسألة عند تفسير الآية: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ يونس: ١٠ فقال"اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ فِي الْآيَاتِ السَّالِفَةِ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَخْلِيقِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ، أَمَرَ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فِي الدَّلَائِلِ حَتَّى لَا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الْحَقَّ هُوَ الْجَبْرُ الْمَحْضُ فَقَالَ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى مَطْلُوبَيْنِ: **الْأَوَّلُ**: أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالتَّدَبُّرِ فِي الدَّلَائِلِ ...**وَالثَّانِي**: وَهُوَ أَنَّ الدَّلَائِلَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ من عالم السموات أَوْ مِنْ عَالَمِ الْأَرْضِ، أَمَّا الدَّلَائِلُ السَّمَاوِيَّةُ، فَهِيَ حَرَكَاتُ الْأَفْلَاكِ وَمَقَادِيرُهَا وَأَوْضَاعُهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْفَوَائِدِ، وَأَمَّا الدَّلَائِلُ الْأَرْضِيَّةُ، فَهِيَ النَّظَرُ فِي أَحْوَالِ الْعَنَاصِرِ الْعُلْوِيَّةِ، وَفِي أَحْوَالِ الْمَعَادِنِ وَأَحْوَالِ النَّبَاتِ وَأَحْوَالِ الْإِنْسَانِ خَاصَّةً، ثُمَّ يَنْقَسِمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ إِلَى أَنْوَاعٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا. وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي كَيْفِيَّةِ حِكْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي تَخْلِيقِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ لانقطع عَقْلُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى أَقَلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ تِلْكَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ"(٢).

**فمجالات النظر** في الكون كثيرة ومتنوعة، وكل مخلوق من مخلوقات الله دقيق الصنعة عجيب الأمر بديع الشكل والمضمون لا يدرك كنهه وعمقه المرء مهما أعطي من علم وقوة في التأمل والاستنباط، حتى إن الإنسان لا يدرك كنه نفسه لذلك كان مأمورا أن يجتهد في إعمال الفكر ويجدّ في التنقل بين الماديات والمعنويات تأملا وفحصا.

### ٤. السير في الأرض للنظر في الكون، ومعرفة تاريخ الأمم السابقة وآثارهم:

ولهذه الهداية دلالات واضحة عليها في آيات كثيرة تدعو إلى السير في الأرض إذ لاحظنا أن ورود لفظ

(١) المصدر السابق، ج:٢١، ص:٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج:١٧، ص:٣٠٦.

الأمر بالسير يقتضي ورود الأمر بالنظر! قَالَ تَعَالَى:﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠ ﴾ محمد: ١٠

**وبيّن القرطبي** هذه المسألة عند تفسير الآية السابقة فقال: "فَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُنْكِرُو مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ فِي الْأَرْضِ سَفَرًا، وَإِنَّمَا هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يُسَافِرُونَ إِلَى الشَّامِ، فَيَرَوْنَ نِقْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَحَلَّهَا بِأَهْلِ حِجْرِ ثَمُودَ، وَيَرَوْنَ فِي سَفَرِهِمْ إِلَى الْيَمَنِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِسَبَأَ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ سَفَرًا فِي الْبِلَادِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا الرَّادَّةِ نَصَائِحَهَا أَلَمْ تُهْلِكْهَا فَنُدَمِّرْ عَلَيْهَا مَنَازِلَهَا وَنُخَرِّبْهَا، فَيَتَّعِظُوا بِذَلِكَ، وَيَحْذَرُوا أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ"(١)، ففي معرفة تاريخ الأمم السابقة الهالكة والسير في آثارهم عبر ودروس للأمة واتعاظ بما أصابهم من دمار وعقاب.

**٥. توجيه الأمّة نحو الربط بين العقيدة والاكتشافات العلمية والحث على إعمال الفكر في اكتشاف الكون واستخراج ما فيه من منافع ومصالح للبشرية.**

فقد دعا القرآن إلى النظر في جوانب الكون فأمر بالنظر إلى السماء وما فيها وإلى الأرض وما يخرج منها وإلى الحيوان وما يتعلق تكوينه وخلقه وإلى النظر في الإنسان نفسه وفي ذلك ربط الدعوة إلى النظر بالعقيدة والإيمان، لأن الكون وما فيه هادٍ إلى الإيمان برب العالمين.

وتحتاج البشرية إلى تطوير كل مجالات الحياة ولا يتأتى ذلك إلى بالانطلاق من العطاء الرباني الأساسي وهو الكون، فالعلم والحضارة يُبنيان على أساس العقيدة وهي الحافزة إلى البحث والتفكير والتطوير في الماديات التي فيها نفع للحياة الدنيا، وقد رأى بعض العلماء أن النظر واجب لما فيه ذلك دليل إلى التوحيد والمنفعة البشرية(٢)، وأن ما ذكره الله عز وجل من مخلوقات في سورة الغاشية وهو قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ ﴾ الغاشية: ١٧ – ٢٠ معروضة في متناول جميع الناس في بيئة المخاطبين المباشرين للتأمل والتفكر، فهذه المشاهد المذكورة في الآية معروضة لنظر الإنسان حيثما كان فالسماء والأرض والجبال والحيوان وأيا كان حظ الإنسان من العلم والحضارة فهذه المشاهد داخلة في عالمه وإدراكه موحية له بما وراءها حين يوجه نظره وقلبه إلى دلالتها، والمعجزة كامنة في كل منها. وصنعة الخالق فيها معلمة لا نظير لها. وهي وحدها كافية لأن توحي بحقيقة العقيدة الأولى. ومن ثم يوجه القرآن الناس كافة إليها.

---

(١) تفسير القرطبي، ج:٢١، ص: ١٩٥.

(٢) إيجاب النظر عند المتكلمين من خلال الآيات القرآنية مناقشة وبيان، إبراهيم محمد صديق، مركز سلف للبحوث والدراسات الإسلامية، ص:١٤

**٦. إثبات صدق القرآن وأنه من الله عز وجل وبيان صلاحيته كل مكان وزمان:**

فالدعوة القرآنية إلى النظر والتفكر في الكون يلفت أنظار المنكرين والمكذبين إلى صدق كتاب العزيز الذي أخبر عن أمور غيبية وعلمية في عصر لم يتطور العلم البشري إلى اكتشافات علمية، وفي ذلك تثبيت للمؤمنين على الحق، ويتبيّن بذلك أن القرآن من عند الله وأنه يهدي للحق.

وفي التاريخ المعاصر نجد علماء ملحدين اهتدوا بمعرفة ما أرشد إليه القرآن من توجيهات علمية، وقد رسخ القرآن في أذهان المؤمنين بذكره الحقائق العلمية، ودحض بها إنكار المنكرين الجاهلين .

**قال ابن عاشور** في بيان معاني قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ ﴾ الطارق: ٥ ـ ٨

"أُطنب في وصف هذا الماء الدافق لإدماج التعليم والعبرة بدقائق التكوين ليستيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علماً ويقيناً. ووُصف أنه يخرج من بين الصلب والترائب، لأن الناس لا يتفطنون لذلك"(١).

فعلى الرغم من أن القرآن كتاب هداية وهو تبصير الإنسان إلى طريق الهداية فإن الدعوة إلى هذه الهدايات قد جاءت بأساليب متنوعة من مخاطبة الفطرة الإنسانية والاستدلال بواقع الأشياء المحسوسة والمجادلة العقلية والتذكير بعاقبة الأمم السابقة ولفت النظر إلى القصور البشري مهما أعطي الإنسان من قوة وقدرة(٢)، وقد خاطب القرآن البشرية بمختلف عصور وأماكنهم ومستوياتهم العلمية بما يتناسب مع كل ولعل هذا من سر بقاء القرآن رسالة خالدة إلى يوم القيامة.

ولذا كانت الدعوة إلى الكون إشارات عامة وتنبيهات أشياء مهمة وعجائب في الكون، ليتأملها كل جيل من البشرية حسب المقتضى الزماني والعلمي.

**فهذه الهدايات المذكورة عامة** مستنبطة من عموم آيات النظر إلى الكون مع العلم أن ما ذكر هاهنا غيض من فيضها، لأنها بلا شك أكثر من هذه، وإنما اكتفيت بما استطعنا استنباطها مراعاة لسياق البحث وبُعدا عن التطويل ورغبة في التنبيه إليها.

**ثانياً: هدايات من آيات النظر المعروضة:**

**أ– هدايات الآيات الداعية إلى السير في الأرض والنظر في آثار الأمم وعواقبها:**

سيتم إن شاء الله استنباط هدايات موجودة في آيات النظر إلى الكون حسب الفروع الموضوعة لها من خلال الآيات مع الحرص على الاختصار والتركيز على ما أشارت إليه الآيات بتعبير مباشر أو غير مباشر معتمدا على استنباطات علماء التخصص، مقتصراً على الآيات المعروضة في المبحث الأول.

---

(١) التحرير والتنوير، ج:٣٠، ص:٢٦٢.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، السعودية، ط:٢، ١٤١٦ . ١٩٩٦. ص:١٦٦.

١. في آية سورة البقرة (٤٩ . ٥٠) حول إنجاء بني إسرائيل وإغراق فرعون وآله تذكير بني إسرائيل بما أنعم الله تعالى عليهم حين فرق بهم البحر وأغرق فرعون ووُجه الخطاب إلى من كانوا موجودين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الإنعام على الآباء والأجداد إنعام على الأبناء والأحفاد فينبغي أن يتذكر الأبناء النعم التي من الله بها على آبائهم مما كان سببا لاستمرار نسلهم فيؤمنون بالله ويشكرون على آلائه ونعم.

٢. في الآية السابقة بيان قدرة الله وسيطرته على ملكوته عز وجل وقدرته على تصريف الطبيعة حسب أوامره ونواهيه، فقد ضرب موسى عليه السلام البحر بالعصا ففرق بقدرته عز وجل.
وفي هذا رد على علماء الطبيعة (الطبيعيون) الذين أن الطبيعة تجري على طبائعها حسب ظروف الأجواء من شتاء وصيف، فالله سبحانه خلق الطبيعة على حالها وقادر على أن يغير كيف يشاء وأنى يشاء بغض النظر عن التقديرات العلمية عند علماء الطبيعة[١].

٣. وفي قوله: (وأنتم تنظرون) تسلية لصدور المؤمنين من بني إسرائيل حيث يشاهدون هلاك عدوهم عيانا وقد ناله الصغار وهلاك من رب العالمين بعد ما تجبر وتكبر فأهانكم وعذبكم، وهذا ما يدل أن مشاهدتهم لحال إغراق فرعون وآله مؤكدة، وتسلية للرسول صلى الله وسلم وأصحابه، ليتأملوها بالعين والقلب والعقل فيزدادوا إيمانا وتصديقا.

٤. في آية آل عمران، رقم(١٣٧) دعوة إلى السير لمعرفة أحوال الأمم السابقة والاعتبار بهم: "وفي الآية دلالة على أهمِّيّة علم التَّاريخ لأنّ فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها.

**قال ابن عرفة:** "السير في الأرض حسّي ومعنوي ، والمعنوي هو النظر في كتب التَّاريخ بحيث يحصل للنَّاظر العلم بأحوال الأمم، وما يقرب من العلم ، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسير في الأرض لِعجز الإنسان وقصوره"[٢]، وعلق الشيخ ابن عاشور على هذا قائلا "وإنَّما أمر الله بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب لأنّ في المخاطبين مَن كانوا أمّيين، ولأنّ المشاهدة تفيد من لم يقرأ علماً وتقوّي عِلْم من قرأ التَّاريخ أو قصّ عليه."[٣].

٥. في آية الأنعام (٩ .١١) دعوة إلى الاعتبار بعاقبة المستهزئين بالدين والسير في الأرض لمعرفة أحوالهم من الأمم السابقين لأن النظر في عاقبة المكذّبين هو المقصد من السير، فهو ممّا يُرتقى إليه بعد الأمر بالسير، ولأنّ هذا النظر محتاج إلى

(١) تفسير ابن السعدي، ص: ٥٢.
(٢) التحرير والتنوير، ج:٤، ص:٩٧.
(٣) التحرير والتنوير، ج:٤، ص:٩٧.

تأمّل وترسّم فهو أهمّ من السير[1].

٦. كشفت الآية السابقة أن من أخلاق المنكرين للدين قديما وحديثا التكذيب والاستهزاء، به والملتزمين، مما يسبب لهم عاقبة السوء وعدم الاهتداء.

٧. دلت الآية أن السير للنظر قد تصاحبه مصالح أخرى كالتجارة قال الزمخشري: "وأما قوله: (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا) فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبه على ذلك بثم، لتباعد ما بين الواجب والمباح"[2]

ويقصد بذلك ما حصل من ربط السير والنظر بحرف العطف (ثم)، الذي يفيد التراخي بين الأمرين في الفترة الزمنية. فاستغلال فرصة السير للنظر لمنافع دنياوية اقتصادية واجتماعية جائزة كالتجارة والعلاج وغيرها من المصالح النافعة غير الضارة

٨. ودلت الآية في سورة يوسف(١٠٩) على أن سوء تفكير المشركين واعوجاج منهج تفكيرهم وفي ذلك تنبيه على الابتعاد عن مناهج أهل الدنيا المستنبطة من سوء تفكيرهم المادي البعيد عن مصدر الوحي فكلما اعتمد المرء على نفسه في أمر الدين ابتدع وضل فغوى.

٩. دلت الآية أن الرسل والأنبياء رجال من الإنس وليسوا من النساء أو رجالا من الأجناس الأخرى مثل الجن والملائكة.

١٠. وفي الآية اعتراض بالوعيد والتهديد على كل من سار على نهج المشركين المجرمين، وترك منهج الرسول الموصل إلى الإيمان والتوحيد الخالص لله[3].

ولا شك في أن التمسك بمنهج الرسل هو المناسب للفطرة الإنسانية والطريق القويم إلى التقدم العلمي، لأن السير في ما رسمه الخالق لخلقه هو المنهج العلمي الصحيح.

١١. في آية سورة النحل (٣٦) أبانة عن "عموم بعثة الرسل لكل الأمم، فكانت سنة الله في خلقه إرسال الرسل إليهم، وتضمنت رسالاتهم الدعوبة لعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة الطاغوت: وهو كل ما عبد من دون الله من الأوثان والأصنام، والبشر والكواكب، والشيطان وغيرها"[4].

١٢. دلت الآية السابقة أن الأمر بالنظر إلى آثار الأمم السابقة أمر عام يشمل جميع أصناف الناس حيث تكرر ذلك بأسلوب (انظروا) أي أسلوب الخطاب الجمعي. وفيه إشارة إلى أن النظر سبيل

(١) المصدر السابق، ج:٧، ص:١٤٧.

(٢) الكشاف، ج٢، ص: ٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ج١٣، ص:٦٨.

(٤) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ج:٢، ص:١٢٦٠.

إلى الرقي العلمي والمعرفي والتطوير لدى الأمم بحيث تتجاوز الأجيال اللاحقة أخطاء السابقين في كل المجالات بما فيه مجال التمسك بالعقيدة والدين.

١٣. في آية العنكبوت (١٩ – ٢٠) دلالة واضحة على أن الكون لم يأت من فراغ وما أوجد نفسه كما يقول الطبيعيون، وإنما خلقها الله العزيز القوي، وفيها إشارة إلى الرد على منكري البعث وأمر بالنظر إلى فناء جميع الخلق من إنس وحيوان ونبات وغيرها، للإيمان بحقيقة البعث.

قال ابن السعدي: "قدرته تعالى لا يعجزها شيء وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى"(١).

١٤. في الآية السابقة ذم تعطيل النظر والتفكر في تقلب أحوال خلق الله وإشارة إلى أن البعد عن السير في الأرض والنظر إلى الكون مؤدٍ إلى تعطيل العقل وعدم التطور المعرفي مما يؤدي إلى عدم الإيمان. وعدم تقويته.

**ب– هدايات الآيات الداعية إلى النظر إلى السماء والأرض معاً :**

١. في آية الأعراف (١٨٣. ١٨٦) دفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم من تهم المشركين، وإثبات كونه رسولا من الله فقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ "ما بِصاحِبِهِمْ بمحمد صلى الله عليه وسلم مِنْ جِنَّةٍ من جنون، وكانوا يقولون شاعر مجنون"(٢).

٢. في الآية السابقة أمر بالنظر إلى السماء والأرض وجميع خلق الله نظر تأمل وتفكر كلي معا، وفي ذلك إعانة على ثبات الإيمان وزيادة العلم والمعرفة باكتشاف عجائب خلق الله، وفيه إثبات عدم بحث المشركين عن الحقيقة بالتأمل والتفكر في ملكوت السموات والأرض وجميع الخلق والنظر من الخطوات العلمية الموصلة إلى معرفة الله واكتشاف العلوم النافعة.

٣. في الآية السابقة إشارة إلى جهل الناس بالأجل وأنه من الغيب لا يعرفونه، وأن الهداية من الله ولا هداية غير هداية الله عز وجل.

٤. في الآية السابقة اجتماع طلب التفكر والنظر مما يؤكد على أهمية الدعوة إلى النظر، وعدم الاعتماد على الفلسفة النظرية البحتة في البحث عن الحقيقة الدينية أو العلمية.

٥. في آية سورة يونس(١٠١) "أمر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع وغير ذلك من آيات السماوات وأفلاكها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك، والأرض ونباتها ومعادنها "(٣)،

(١) تفسير ابن السعدي، ص: ٦٢٨

(٢) الكشاف، ج٢، ص:١٨٢

(٣) المحرر الوجيز، ج٣، ص:١٤٥.

وفيها دعوة عامة للعباد "إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل، لما فيها، وما تحتوي عليه، والاستبصار، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وعبرًا لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده، المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام، والأسماء والصفات العظام"(١).

٦. في الآية السابقة بيان أن اتخاذ الوسائل إلى الهداية لا تغني عن توفيق الله .

**قال صاحب الوجيز**: "ثم أعلمَ في آخر الآية أن النظر في الآيات والسماع من النذر: وهم الأنبياء لا يغني إلا بمشيئة الله، وأن ذلك غير نافع لقوم قد قضى الله أنهم لا يؤمنون"(٢).

٧. في الآية الواردة في سورة الحجر (١٦ ـ ١٧) إشارة إلى دقة خلق الله للسماء وانتظام نظامها، وبيان جمالها البديع وكل ذلك يؤكد على وحدانيته وإنعامه على عباده عز وجل برحمته الواسعة، ومن ذلك أن زيّن لهم السماء وحفظه من مقاربة الشيطان الرجيم.

٨. في الآية لفت الأنظار إلى "أن الجمال غاية مقصودة في خلق هذا الكون، كما تشعر المؤمنين بأن من الواجب عليهم أن يجعلوا حياتهم مبنية على الجمال في الظاهر وفي الباطن، تأسيا بسنة الله تعالى في خلق هذا الكون.

ثم وضح سبحانه بأن هذا التزيين للسماء، مقرون بالحفظ والصيانة والطهارة من كل رجس"(٣).

٩. والآية السابقة إرشاد إلى التحدث إلى كل قوم بما يعرفون من دقائق أمور الحياة فقد عرف العرب الحساب بالبروج، وكذلك عرفوا الاستنارة والاستضاءة بضياء الكواكب في السير ليلا، ولاحظوا جمالها الصافي وهم في الصحراء .

**قال الشيخ ابن عاشور** "ولذلك أقام القرآن الاستدلال بالبروج على عظيم قدرته وانفراده بالخلق لأنهم قد عرفوا دقائقها ونظامها الذي تهيأت به لأن تكون وسيلة ضبط المواقيت بحيث لا تُخلف ملاحظة راصدها. وما خلقها الله بتلك الحالة إلا ليجعلها صالحة لضبط المواقيت ... ثم ارتقى في الاستدلال بكون هذه البروج العظيمة الصنع قد جُعلت بأشكال تقع موقع الحسن في الأنظار فكانت زينة للناظرين يتمتعون بمشاهدتها في الليل فكانت الفوائد منها عديدة"(٤).

١٠. دلت الآية السابقة على اعتناء الله بالسموات وحفظها من كل شيطان، كما فيها إشارة إلى طرد الشبهات عن القرآن وأن جهة مصدر الوحي محفوظة من قدرة الله عز وجل، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾.

---

(١) تفسير ابن السعدي، ص: ٣٧٤.

(٢) المحرر الوجيز، ج٣، ص:١٤٥.

(٣) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ج:٨، ص: ٢٨.

(٤) التحرير والتنوير، ج:١٤، ص:٢٩.

وهذا من دقيقة لغة القرآن عن الحكم الربانية في كتابه العزيز.

١١. في آية سورة الروم (٨ ـ٩) حث على الاستعمال العقل الباطني واستخدام حاسة العين لنقل ما يثير العقل ويدفعه إلى التأمل والتفحص بالنظر إلى آثار الأمم السابقة، وما تركوا من آثار.

١٢. الآية السابقة بيان أن الله لم يخلق الكون من السماء والأرض وما فيهما من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات الكثيرة المتنوعة والأجناس المختلفة إلا لحكمة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا عبثاً ولا باطلاً، بل كان خلقها مقروناً بالحق، مصحوباً بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه(١)، وفيها دلالة واضحة على البعث.

١٣. في الآية السابقة أن التقدم الحضاري والقوة المادية للأمم لتجدي نفعا من عذاب الله وسوء العاقبة ما لم يؤمنوا بالله وفيها إرشاد إلى عدم الانخداع والاغترار بالتفوق المادي فهو أمر زائل لا قيمة لها ولا وزن في ميزان يوم الحساب.

**وهذا درس لنا** في الاعتبار والاتعاظ وعدم تبعية الغرب غير المسلم المادي فمهما بلغوا من العلم فإنهم إن لم يؤمنوا فيبقى تقدمهم مقطوع الصلة عن الله.ثم إن التقدم العمراني مع البعد عن الله منهج غير علمي وغير مستقيم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **التوبة: ١٠٩**

**ت- هدايات الآيات الداعية إلى النظر إلى النبات:**

١. في آية سورة الأنعام(٩٩) دعوة الإنسان إلى التأمل في اتصال السماء بالأرض بنزول الأمطار التي تكون سبب لأنواع رزقه وعليه أن يتأمل قدرة الله في ذلك فيه عبر وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه عز وجل وجوده الأزلي، وكمال اقتداره وعنايته بعباده(٢).

٢. وجاءت الدعوة إلى النظر بعد ذكر أنواع النبات والزرع والشجر في خاتمة الآيات ولفتت النظر إلى أن المذكورات دليل على الإيمان وعليه عند المؤمنين. ودعت الآية إلى تركيز التأمل في بداية الثمر كيف يكون عند التحوّل في نهايته لِإِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ ودلالات على قدرته تعالى على البعث(٣).

٣. في الآية السابقة تخصيص المؤمنين بالذكر في نهاية الآية "لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، الكافرين"(٤)، وفيه بيان وحث للمسلمين على الجهد في البحث والنظر ودراسة أنواع الزروع، وأن يرتقوا بأساليبهم العلمية والمعرفية في

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ج:٨، ص: ٢٨

(٢) تفسير ابن السعدي بتصرف، ص: ٢٦٧.

(٣) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج:٧، ص:٣١٥.

(٤) المصدر السابق، ج:٧، ص:٣١٥.

دراسة علم الزراعة فيزادوا إيمانا ونفعا للبشرية لما سيكتشفون من عجائب البنات والأشجار البديعة والحبوب المتنوعة والفواكه المستلذة وفي كل ذلك زيادة في الإيمان بالله ورقي بالأمة في العلم والنفع المادي.

٤. الأمر بالنظر في الآية محسوس ومعنوي، لأن ما ذكره من أوصاف النبات والأشجار مدركة بالحاسة العينية مما يعني أن العلم في هذا المجال الزراعي ينطلق من معرفة هذه المزروعات حسيا بتذوق طعمها والإعجاب بألوانها وأشكالها ثم البحث حقائقها من حيث النماء والنفع وأسباب بقاءها، ويزداد الناظر الباحث معرفة قدرة الله في رحلته العلمية فيدرك علاقة العلم ورقيه بالخالق سبحانه وتعالى.

٥. وفي سورة عبس آية (٢٤ .٣٣) أمر الله الإنسان بالنظر إلى مصدر طعامه لأهميته لأنه به يتقوى وهو سبب صحته ومرضه، وفيه توجيه الإنسان إلى الاهتمام بغذائه والتأمل والتفكر في صفائه والبحث عن مصدره وكيفية تكوينه، وفيه إحالة إلى الاهتمام بالبيئة من ماء وشجر وزهور وعشب وكل ما له علاقة ببيئة الإنسانية الأرضية والجوية، لأن وعاء الإنسان مصدر تزويده بالحياة، ولا شك في أن رقي المؤمن العلمي في معرفة بيئته وإدراكه بعض أسرارها العجيبة مفيدة له في زيادة الإيمان ويوطد علاقته بخالقه عز وجل بديع الكون البيئي، فأهم الهدايات في الآية السابقة أنه "يجب على الإنسان النظر والتأمل في طعامه وأسبابه ومراحل تكوينه وشق الأرض وإنبات النبات والحبوب والعنب والقضب والزيتون والنخل والفاكهة والأب والتي أخرجها متعة للناس ولأنعامهم للامتنان عليهم ذلك ليعرفوا تمام قدرة الله تعالى وعظم نعم الله عليهم فيشكروها بطاعته"(١).

٦. في الآية السابقة إشارة تطابق بين الحيّيْن (الإنسان والنبات) ليدرك الإنسان أن مصيره في الحياة إلى الموت ليقر بالبعث ويؤمن بالله سبحانه وتعالى قال الشيخ الأمين: "قد اتفقت الآيتان على خطوات ثلاث متطابقة فيهما. فصب الماء من السماء إلى الأرض، يقابل دفق الماء في الرحم، وشق الأرض للنبات، يقابل خروجه إلى الدنيا. وإنبات أنواع النباتات، يقابل تقادير الخلق المختلفة"(٢). وهذه ملاحظة وفهم دقيق من الشيخ ينبغي لأهل العلم أن يتأملوه أكثر.

٧. في الآية إشارة إلى حقارة الدنيا وفنائها وأنها مجرد متاع ثم تنقضي وتزول لقوله تعالى:﴿مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾(٣) في آخرة الآية، والفائز في هذه الدنيا من استقام وأطاع الله وصدق بالحسنى.

**ث- هدايات الآيات الداعية إلى النظر إلى الحيوان والأرض معاً :**

١. في آية سور الغاشية (١٧ .٢٠) بيان عظمة آيات الله عز وجل وتمام قدرته في خلق الإبل ورفع السماء ونصب الجبال وسطح الأرض وفي ذلك بيان إعجاز القرآن وصدق أخباره وتقريراته.

٢. وقد لاحظنا أن من الهدايات في الآية السابقة دلالة وجوب النظر والحث عليه في دلائل الوحدانية التي هي أصل الاهتداء إلى تصديق ما أخبرهم به القرآن من البعث والجزاء. ولذا كان الاستفهام إنكارا

(١) عون الرحمن في تفسير القرآن، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، ج:٢٥، ص:٧٧.

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالفرآن،ج:٨، ص:٤٣٥

(٣) عون الرحمن في تفسير القرآن، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، ج:٢٥، ص:٧٧.

على المشركين لإهمالهم النظر إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته والنظر هنا: نظر العين المفيد للاعتبار بدقائق المنظور(١).

٣. قد ذكر الله هذه الأشياء الأربعة المذكورة بما يتميز به كل منها، فخلقة الإبل عجيبة، ورفعة السماء مثيرة للتدبر في قدرة الله وكون الأرض نصباء مما يدفع المتأمل إلى النظر والتفكر، وفيه إشارة إلى الاهتمام بهذه الجوانب المتميزة منها بالنظر والتفكر والبحث العلمي لاكتشاف عجائبها وبدائعها الموصلة إلى الإيمان بخالقها.

٤. في الآية السابقة دليل على مخاطبة الناس بما يعرفون حيث وجه الله العرب إلى النظر فيما بين أيديهم من المخلوقات إقامة للحجة عليهم(٢)، وهذا يؤكد لنا أن من أحسن الرد على المنكر والمكذب إقامة الحجة عليه بما يعرفه وتعوده. وبما يناسب بيئته وزمانه ومستواه العقلي والمعرفي وفيه إشارة إلى مراعاة أحوال الناس في توجيه الخطاب إليه وهو منهج علمي يسهم في الإقناع والإفهام.

**ج- هدايات آيات داعية إلى النظر في قدرة الله عز وجل على الخلق والإعادة والبعث:**

١. من هدايات آيات سورة البقرة (٢٥٨ ـ ٢٥٩) الإرشاد إلى الاستفادة والاستنارة من قصص الأمم السابقة، ومواقفها جماعة وأفرادا، والوقوف على أحداثهم وظروفهم بالدراسة والتحليل للاعتبار.

٢. في الآية السابقة توجيه المسلمين إلى اتخاذ الأسلوب الحواري العلمي والحوار المنطقي للرد على المنكرين والمكذبين لإقناعهم ودعوتهم إلى التوحيد.

٣. في الآية السابقة حث على تكرار الجانب الأساسي والمهم من الكلام والحديث عند الحوار والمناظرة والتبليغ حيث لاحظنا أن لفظ الأمر في الآية وردت في ثلاثة مواضع مختلفة للتأكيد على أهمية النظر والتأمل في الأمور الثلاثة المراد التفكر فيها، وهي: طعامه وشرابه الذي ظل طيلة قرن ولم يتعفن ولم يستحل، وتوجيهه للنظر في إعادة خلق حماره، وكذلك أمر الله إياه أن ينظر في تركيب العظام ونشزها.

٤. في الآية إرشاد إلى استغلال المناسبة الملائمة لدعوة إلى العقيدة.

فالآية السابقة قبل هذه الآية في إثبات وجود الله وهي قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨ ــ ٢٥٩

فناسب الأمر ذكره هذه القصة لإثبات قدرة الله على الخلق والإعادة والبعث والتأكيد على إثبات وجوده عز وجل.

---

(١) التحرير والتنوير، ج:٣٠، ص:٣٠٥

(٢) عون الرحمن في تفسير القرآن، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، ج:٢٤، ص:٢٣٥..

**ح- هدايات آيات تدعو الإنسان إلى النظر إلى نفسه وخلقه.**

١. في آية سورة الطارق (٥ -٩) دعوة الإنسان إلى أن ينظر ويتأمل في أصل خلقه ليرى ضعفه وعظيم قدرة الله تعالى، والدعوة هنا لعموم الإنسان. وفي ذلك إثبات قدرة الله على البعث "فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث، والنشور والجزاء"(١).

٢. قررت الآية مسألة علمية طبية وهو أن أصل الإنسان من ماء، وهو المني الذي يخرج من بين صلب والترائب(٢)ويؤكد على هذا التقرير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الأنبياء:

٣. في الآية السابقة توجيه إلى البحث في خلق الإنسان والتعمق في معرفة حقيقة الإنسان وما يطرأ عليه من مرض وضعف وأسباب قوة وما يتميز به عن الحيوان من عقل ونطق وغيرهما. وهذا من الحوافز القرآنية التي ينبغي أن تبعث في الأمة روح الاجتهاد للبحث الطبي وتطويره.

(١) تفسير ابن السعدي، ص: ٩١٩.

(٢) عون الرحمن في تفسير القرآن، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، ج:٢٤، ص:١٩٤

## الخاتمة:

من خلال عرض آيات النظر إلى الكون في القرآن ومحاولة استنباط الهدايات التي تحتويها الآيات المختارة للدراسة توصلت إلى نتائج متنوعة كثيرة يصعب ذكرها كلها في هذه الخاتمة نظراً لطبيعة البحث المحددة،

ولذلك أحببت التركيز على محاولة استخلاص ما توصلتُ إليه مما يتعلق بأثر هدايات آيات النظر إلى الكون في الجانب العلمي والمعرفي.

١. توصل بنا البحث إلى أن أصل الهدايات التي نستنبطها من خلال آيات النظر هو لإرشادنا إلى الإقرار بأن الرقي العلمي والمعرفي الحقيقي هو وصول الإنسان إلى معرفة حقيقة الله وقدرته فيؤمن به ويتخلص من تبعات الشرك ويتخلص من آثاره السلبية، ويستسلم للعبودية الخالصة أمام الخالق الواحد الأحد ويطيع أوامره وينتهي عن نواهيه، ومتى ارتقى العبد إلى درجة هذه المعرفة اليقينية لم يخش إلا الله وعاش سليماً بعيداً عن الأمراض النفسية صافياً الذهن مستعداً للعطاء الفكري لما ينفع في الدارين، وهذا الفهم مستنبط من آيات كثيرة تكررت فيها الدعوة إلى النظر إذ نجد أن التوجيه إلى النظر في الغالب الأعم مرتبط بالتوحيد.
٢. توصلتُ من الهدايات المستنبطة إلى أن حرية التفكير وسلامته وقوة الإبداع العلمي منوط بقبول دعوة الحق والاستقامة في الدين، ونلاحظ ذلك في هلاك الأمم السابقة المتطورة في العمارة والزراعة والفلسفة، وإنما هلكوا بسبب انحرافهم وتركهم الصراط المستقيم فانهار كل ما أسسوه بفكرهم من إبداع متطور، إذ لا يكتمل تقدم معه كفر وعصيان، فمهما وفر الناس لأنفسهم سبل الراحة المادية لن يستمتعوا بالراحة ما لم ترقَ نفوسهم وعقولهم بمعارفهم وتجاربهم وبحوثهم إلى الإيمان بالله.
٣. إن تنوع المنظور إليه واختلافه من الأشياء الكونية دعوة قوية للمؤمنين إلى التطوير العلمي في المجالات الكونية فالقرآن قد حثّ نحو التخصص العلمي والتطور المعرفي في علم التاريخ وعلم الآثار حين أمر في أكثر من آية بالسير في الأرض للوقوف على تاريخ الأمم السابقة، وقد رغب بنا الله عز وجل أن نهتم بعلم الفلك والكون العلوي حين أمر بالنظر إلى السماوات، وفيها من عجائب في آيات عديدة، وفي سياقات مختلفة، كما أراد بنا سبحانه وتعالى معرفة الأرض وتوسيع آفاقنا في هذا المجال إذ أمر بالنظر إلى الأرض وما ينبت فيها ومنها، وفي أكثر من آية يدعو القرآن الإنسان إلى النظر في أصل غذائه، وأصل خلقه، وما ذلك إلا طريق إلى الرقي

العلمي في مجال الطب، وهذا كان هو السبب الأساسي . والله أعلم . في دعوة القرآن إلى النظر في مجالات مختلفة.

٤. من خلال هدايات الآيات لاحظنا أن آيات النظر تصحح النظريات المادية عند البشر مثل نظرية الطبيعة أي أن الطبيعة وُجدت هكذا بنفسها، ونظرية الشك العلمي فلا يجوز الشك في الأمور الغيبة التي أخبرها القرآن ولا ظن السوء في قدرة الله على البعث والإعادة والإحياء ولا يخفى علينا خطورة هذه النظريات في تعطيل الفكر الإنساني وقطع صلته عن ربه وخالقه عز وجل، مما يؤدي به إلى الكفر والغرور بنفسه وهذا قاتل للتطور العلمي والفكري لدى الإنسان. فآيات النظر قد فنّدت المناهج المادية والعلمانية التي تفصل بين العلم والدين، وكلما انفصل المرء عن الدين مصدر الإبداع وموجهه ومقوّمه تخلف به الفكر فعصى وغوى.

٥. مما يستنتج من هدايات الآيات الداعية إلى النظر في الكون في مجال العلم والمعرفة هو أنها توجيه رباني إلى المنهج العلمي الصحيح في التفكير العلمي وهو الانطلاق من العملي الملموس إلى النظري الشارح للعودة إلى تعميق الجانب التطبيقي والعملي، وذلك أنه أمر سبحانه وتعالى بالنظر إلى الكون وما فيه، نظرَ اعتبار وتحليل علمي ينقلنا إلى الجانب النظري الافتراضي للعودة إلى التطبيق العملي. ولو تمسك المسلمون بهذا التوجيه الرباني لتقدموا في المجالات العلمية والفكرية، ولكنه يبدو أن الجانب النظري غلب على تطبيقنا حتى في تطبيق التعاليم الإسلامية، فالقصور في تطبيق الإسلام بات واضحاً في الأمة.

٦. مما يستنتج من هدايات آيات النظر أن القرآن يدعو إلى الموازنة بين قراءة العلوم المدونة باعتبارها قراءة نظرية افتراضية، وقراءة الكون باعتبارها قراءة واقعية عملية، وهذا مما ينفع المرء في فهم العلوم والمعرفة ويدفعه إلى التجربة والتطوير، وبعبارة أخرى علينا نقرأ القرآن باعتباره آيات ربانية ترشد إلى اكتشاف آيات ربانية في الكون، وكلها.

٧. ويستنبط من خلال هدايات النظر التحذير من الابتذال الفكري والعلمي والإنشائية الجريئة بلا تجربة علمية حيث تدعو الآيات إلى النظر في تاريخ الأمم والنظر في السماوات والنبات وغيرها وفي ذلك إشارة إلى اعتباره الكون مصادر علمية ربانية تزود الإنسان بالعلم الصحيح.

٨. توصلت من خلال هذه الدراسة إلى أن موضوع النظر إلى الكون في القرآن متشعب الأطراف وعميق القعر يحتاج إلى بحوث علمية متنوعة. وينبغي أن يكون أساس تحفيز المسلمين إلى التطوير العلمي والفكري.

## المصادر والمراجع


١. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

٢. **إعراب القرآن وبيانه،** محي الدين الدرويش، دار الإرشاد ـ سورية.

٣. **إيجاب النظر عند المتكلمين من خلال الآيات القرآنية مناقشة،** وبيان، إبراهيم محمد صديق، مقال مركز سلف للبحوث والدراسات الإسلامية،ذو العقدة، ١٤٤٣هـ، ٢١، يونيو ٢٠٢٢م، أوراق علمية (٣١١).salaf ceter.

٤. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،** أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة أبو العباس، تح: أحمد عبد الله قرشى رسلان نشر: حسن عباس زكى: القاهرة١٤١٩ هـ

٥. **التحرير والتنوير** ـ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس١٩٩٧م.

٦. **تفسير الجلالين،** جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ط١، دار الحديث، القاهرة،مصر.

٧. **تفسير الخازن تفسير المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل:** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

٨. **تفسير السراج المنير** ـ محمد بن أحمد الشربيني، دار النشر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩. **تفسير ابن السعدي** ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي/ تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٠. **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تح: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١١. **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،** فخر الدين محمد الرازي دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م بيروت، لبنان.

١٢. **تفسير المراغي.** أحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي، وأولاده بمصر، ط:١. ١٩٤.

١٣. التفسير المنير إعداد نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط٧، ٢٠٢٠ م،١٤٤٢هـ.

١٤. **التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج،** وهبة بن مصطفى الزحيلى، دار الفكر المعاصر، بيروت دمشق ١٤١٨هـ.

١٥. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٦. **التفسير الوسيط للزحيلي،** وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق ط١ - ١٤٢٢ هـ

١٧. **التفسير الوسيط** للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوى، دار نهضة مصر ط١، القاهرة.

١٨. **الجامع لأحكام القرآن:** تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية– القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٩. **عون الرحمن في تفسير القرآن، وبيان ما فيه من الهدايات والفوائد والأحكام**، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤٤١هـ.

٢٠. **فتح** القدير (تفسير الشوكاني) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.ط١ - ١٤١٤ هـ.

٢١. **الكشاف . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣- ١٤٠٧ هـ.

٢٢. **لسان العرب لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الإفريقى، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٢٣. **مباحث في إعجاز القرآن**، مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، السعودية، ط:٢، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.

٢٤. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)** محيي السنة، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ البغوي تح: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي –بيروت ط١، ١٤٢٠ هـ.

٢٦. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٧. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية ١٤١٥،هـ، دمشق، بيروت.